في العقيدة(١)

قال النصارىٰ: إن روح الله حلت في عيسىٰ(٢)، ....

(١) مجلة الهدي النبوي (٩/ ١٣٦٧).

(٢) اختلف المسيحيون قديمًا في طبيعة المسيح؛ فكان جماعة - وعلىٰ رأسهم رجل مصري نابغة اسمه أريوس - يؤمنون ببشريته، وأنه رسول، وبهذا الرأي الحق كان يؤمن أسقف نيقودنيه، وأسقف مقدونية، وأسقف فلسطين، وكنيسة أسيوط. وكانت كنيسة الأسكندرية هي التي تحاربه، فلهذا ولبعض أسباب أخرىٰ اجتمع مجمع نيقية سنة ٢٢٦ وتدخل فيه إمبراطور الرومان، فقرر المجمع ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله، وأنه قديم بقدمه، وبعده عقد المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١، ويقول ابن البطريق في قرارته: «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية كيان واحد في ثلاثة أقانيم: إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة».

فتقرر التثليث إذن في هذا المجمع بعد هذا جهر نسطور بأن هناك أقنومًا وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الأب وتنسب إليه طبيعة الإنسان، وقد ولدت من مريم فمريم أم الإنسان وليست أم الإله؛ وينقل ابن البطريق رأيه فيقول عنه: «إن هذا الإنسان الذي يقول: إن المسيح بالمحبة متحد مع الابن ويقال: إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة»، فانعقد لهذا مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١، وقرر ما يذكره لنا ابن البطريق: «أن مريم العذراء والدة الله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد في الأقنوم»، ثم اجتمع مجمع خليكودنيه سنة ٤٥١، وقرر للقضاء المبرم علىٰ نحلة نسطور ما يذكره أيضًا =

...... وقالت اليهود عزير[1] ابن الله... رغم أنه ورد في كتبهم - الموجودة بأيدينا اليوم - ما يقرر وحدانية الله؛ ففي الإصحاح العشرين من سفر الخروج يقول الله لموسىٰ: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من بيت العبودية؛ لا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي، لا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض؛ لا تسجد لهن ولا تعبدهن[2]»،

=

ابن البطريق: «أن مريم العذراء ولدت إلهًا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية».

هذه أهم المجامع التي أرست أساس العقيدة المسيحية في التثليث؛ ومنها نرىٰ أن ألوهية المسيح لم تكن مقررة قبل هذه المجامع، ولا مجمعًا عليها، مما يدل دلالة قاطعة علىٰ أن كتبهم حتىٰ الزائفة منها ليس فيها تصريح قاطع بألوهية المسيح.

(١) عزير هو الذي يسميه أهل الكتاب عزرا، وهو من كهان اليهود، ومن أبرع كتابهم، كان يسكن بابل سنة ٤٥٧، قدم وهو الذي جمع أسفار اليهود، وكان بعض يهود المدينة يطلقون عليه لقب ابن الله؛ روىٰ ابن إسحاق وابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس: أتىٰ رسولَ الله ﷺ سلامُ بن مشكم، ونعمان بن أوفىٰ، وأبو أنس، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله.

ومن المعلوم أن التوراة التي كتبها موسىٰ ووضعت في تابوت العهد لم يجد منها سليمان حين فتح التابوت غير لوحين - كما جاء في سفر الملوك - وأن عزرا هو الذي سطر التوراة بعد النبي بالكلدانية ممتزجة باللغة العبرانية...

(٢) حتىٰ في الإنجيل - الذي فيه تحريف - تحريم التماثيل لأي مخلوق، وتحريم اتخاذ الأوثان والأنداد.

لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي».

وجاء في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأىٰ أنه أجابهم حسنًا سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد».

ثم بعد ذلك يقول: «فقال له الكاتب: جيدًا يا معلم؛ بالحق قلتَ، لأن الله واحد وليس آخر سواه» وفي سفر أشعيا من العهد القديم إصحاح (٤٥): «أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي، نطقتك وأنت لم تعرفني لكن يعلو من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري، أنا الرب وليس آخر».

وفي إصحاحه (٤٦) يقول: «اذكروا الأوليات منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر؛ الإله وليس مثله مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يفعل».

وفي إنجيل متّىٰ من إصحاحه التاسع عشر نجد هذه المحادثة بين المسيح وأحد الفريسيين: «قال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلا واحدًا وهو الله».

وفي إنجيل يوحنا، يعترف برسالة عيسىٰ في الإصحاح (٨): «إني خرجت من قبل الله لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني» والمتحدث عيسىٰ.

وفي إصحاحه (١٧) اعتراف أصرح، يخاطب عيسىٰ ربه بقوله: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

من هذه النصوص نعرف أن الاعتراف بوحدانية الله وأنه لا يصح أن يعبد سواه موجود حتىٰ في الكتب التي بين أيدينا الآن، والتي ثبت التحريف فيها...

وهذا ما يقوله إنجيل برنابا في الفصل الثالث والتسعين يقول يسوع: «إني أشهد أمام السماء، وأشهد كل ساكن علىٰ الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر، لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام».

وهذا الإنجيل منسوب إلىٰ قديس من النصارىٰ، وكشف بين المسيحين وفي مكاتب أناس لا يتهمون أبدًا بالكيد للمسيحية رغم كل هذا فالنصارىٰ يؤمنون بألوهية المسيح، بأن روح الله حلت فيه؛ ويؤمن اليهود - غضب الله عليهم ولعنهم - بأن عزيرًا ابن الله... فهل آمن بمثل هذا بعض المسلمين - أستغفر الله - بعض من يزعمون أنهم مسلمون، بل سادة المسلمين وزعماؤهم؟

إن الله عند النصارىٰ تجسد في عيسىٰ، أما عند الشيخ الأكبر زعيم من الحقيقة العمائية - بفيض أسماء النور المبين - حقائق الوجود، وكانت حقيقة الحق عين الشاهد والمشهود. وقد أشار سيدي مصطفىٰ البكري.

لهذا المعنىٰ بقوله: «بعماء كنت به أزلًا بمحمد من جاء بالبلج... وذلك معنىٰ فتح ظهور العالم من نور حقيقته»[1]، يقول الرجل: إن الله كان وجودًا مطلقًا، ولما كان يحب نفسه؛ أراد - بسبب هذا الحب - أن يرىٰ نفسه في وجود متعين، أي: في وجود محس؛ فظهر لنفسه في صورة هي الحقيقة المحمدية. وهو معنىٰ بيت البكري في قصيدته المنبهجة التي يرتلها الصوفية قبيل صلاة الفجر دائمًا زاعمين أنهم بها يستمطرون الله فرجه ورحمته!!

---

(١) صـ(٩٠-٩١) من كتاب النفحات الأقدمية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية.

ويقول النابلسي في شرح صلاة ابن مشيش ما يأتي نصه: «ما صلىٰ علىٰ محمد إلا محمد لأن صلاة العبيد عليه صدرت منهم بأمره من صورة اسمه، فميم اسم محمد رأس صورة آدم المكرم، وهذا الحكم جار فيها من آدم، فميم اسمه نطقت بالصلاة عليه، وكذلك كل عبادة صدرت من آدم ونبيه؛ فإنها بأمره ﷺ، إذ هو - تعالىٰ - اسمه»[(١)].

وما زال حتىٰ اليوم يقال علىٰ المآذن: يا أول خلق الله. ويفهم المسيحيون أن الله خلق العالم بالكلمة التي هي عيسىٰ متجسدة، ويفهم الصوفية - لا المسلمون لأن المسلمين يفهمون في محمد ﷺ أنه بشر رسول - في محمد أنه لولاه ما خُلق الكون، وأن الموجودات خلقت من نوره؛ وفي مولد المناوي الذي ما يزال يتغنىٰ به إلىٰ اليوم يقول: «لولاه ما كان ملك الله منتظمًا». ويقول أبو الطيب الحسن بن يوسف في شرحه لصلاة ابن مشيش ما يأتي[(٢)]: «وإذا نظرت بعين الحقيقة؛ فما صلىٰ علىٰ محمد غير محمد، فإن الله خلق آدم، وولده أجمعين علىٰ صورة حروف اسمه؛ كي لا يرىٰ بالبصر إلا اسمه، فجعل الميم الأولىٰ هي الرأس، والحاء هي البدن، والميم الثانية هي البطن، والدال هي الفخذان والساقان، وإنما خرجت النباتات، والبهائم، والآلات، والمعادن، والجواهر، والإناث، وسائر الأشخاص عن هذه الصورة المحمدية».

وفي كتاب الله هذه الآية القاطعة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] لو اكتفىٰ

---

(١) صـ(٥٧١) من مجموع الأحزاب طبع تركيا.

(٢) صـ(٥٩٢) من مجموع الأحزاب طبع تركيا.

بلفظ بشر فلربما ظن أنه بشر من نوع ممتاز غيرنا، ولكنه عقب عليها بـ ﴿مِّثْلُكُمْ﴾ فكانت فصل الخطاب في أن رسول الله خُلِقَ مما خُلِقْنا منه، فليس من نور، أو ليس روحًا من الله، أو ليس هو الله... فماذا يقول المسلم؟

أيصدق الله وكتابه أم ابن عربي وأذنابه؟!

